الانتقاء القائم على التنوع كمدخل لطرق البحث في الإرشاد الزراعي والتنمية الريفية

Approach for Agricultural ○Eclecticism, an Extension and Rural Development Research Methods

أ.د. عماد مختار أحمد الشافعي

أستاذ الإرشاد الزراعي المتفرغ - قسم الاجتماع الريفي والإرشاد الزراعي

كلية الزراعة- جامعة القاهرة

Ems.1945@yahoo.com

كانت المعرفة، ولا زالت، هي الأداة الأساسية التي سعى الإنسان، منذ وجد على الأرض، للحصول عليها واستخدامها من أجل السيطرة على الطبيعة، بهدف إشباع احتياجاته الأساسية. وتختلف المصادر، أو الطرق، التي يستخدمها الإنسان للحصول على المعرفة عن العالم الذي يحيط به ويعيش فيه. وتتفاوت هذه المصادر والطرق من: (أ) الخبرة Experience ، والتي تنتج، كما تشير المدرسة الإمبيريقة Empiricism ، من الملاحظة أو التجربة أو الخبرة، (ب) رأي الخبراء، فبافتراض أنه ليس لدينا جميعاً الوقت الكافي لتجربة كل شيء وبالتالي فإننا نعتمد في العديد من الحالات على رأي الخبراء للحصول على المعرفة في موضوعات محددة تخصصوا فيها لدرجة تجعلنا نثق فيهم بدرجة كبيرة كمصدر للمعرفة، (ج) التفكير أو الاستدلال الاستنتاجي Reasoning ، والذي قد يكون من خلال الاستقراء Inductive Reasoning أو الاستنباط Deductive Reasoning، (د) الطريقة العلمية بخطواتها المعروفة، والتي تعتبر أفضل الطرق الموضوعية للحصول على المعرفة المنظمة Systematic Knowledge في المجالات المختلفة، والتي تراكمت في كل مجال لتصنع علماً قائماً بذاته. ويتصف العلم بست صفات أساسية، وهي: (أ) التقدم المستمر Progressiveness، ونتذكر هنا كلمة نيوتن " أننا نقف على أكتاف العمالقة"، (ب) العقلانية والمنطقية Rationality ، (ج) الإبداع Creativeness، (د) الدينامية /التغير والتطور المستمر Dynamic ، (هـ) النقد Critical، (و) الاستمرار- دون نهاية محددة Never-Ending.

وينظر إلى الفهم، والتنبؤ، والضبط، " Understanding, Prediction and Control " باعتبارها الغايات الثلاث الرئيسية لأي علم، يستخدم الطريقة العلمية كمنهج للتوصل إلى تراكم المعرفة المنظمة حول ماهية الظواهر، والنظم، والعمليات، والأنشطة المحيطة بنا في العالم الخارجي، والكيفية التي بها تبدأ وتعمل وتستمر وتتغير على مدى الزمن. ففي بحوث الإرشاد الزراعي نهتم، على سبيل المثال بفهم ماهية، ومحاولة التأثير في، المواقف والأنشطة المختلفة لعملية التعليم الإرشادي الزراعي أو الريفي، وكيف يتمكن العاملون في الإرشاد الزراعي أو الريفي، من خلال البرامج المخططة بعناية، من مساعدة الجماعات والمجتمعات الريفية المستهدفة (من المزارعين والمنتجين، والجماعات والروابط التي تنشأ بينهم، والأسر الريفية والمجتمعات المحلية ككل) في مجال تطوير وتحديث أساليب وطرق الإنتاج والتسويق الزراعي، لتحقيق الأهداف المتعلقة بزيادة إنتاجيتهم، وتعظيم دخلهم، والارتقاء بمستوى معيشتهم، وتحسين

نوعية الحياة في المجتمعات التي يعيشون فيها. كما نهتم أيضاً بدراسة العديد من المجالات المرتبطة بالتعليم الإرشادي مثل الطرق الإرشادية الأكثر مناسبة لمواقف تعليمية محددة، وأنسب الطرق أو المداخل لربط النظم الفرعية التي تمثل المكونات المختلفة للنظام الأكبر للمعرفة والمعلومات الزراعية Agricultural Knowledge and Information System (AKIS) أو لنظام الابتكار الزراعي Agricultural Innovation System (AIS) ، والتي تتركز بصفة أساسية في البحوث الزراعية، والتعليم الزراعي، والإرشاد الزراعي، والمزارعين والمنتجين الزراعيين.

وفي بحوث التنمية الريفية نهتم، على سبيل المثال أيضاً، بفهم ماهية، وأسباب الظواهر، والنظم، والعمليات، والأنشطة الاجتماعية المرتبطة بالتغير في البنيان و / أو الوظائف الضرورية لإشباع الحاجات الاجتماعية والنفسية للسكان الريفيين. كما تتضمن الاهتمامات البحثية الموضوعات والقضايا المتعلقة بكيف تتكون، وكيف تنشط وتعمل المؤسسات والمنظمات الاجتماعية المختلفة الرسمية وغير الرسمية، التي يتشكل منها المجتمع المحلي الريفي، وكيف تؤدي وظائفها، وسبل تحسين هذا الأداء. هذا بالإضافة إلى فهم ومحاولة السيطرة على الأسباب والمحددات المرتبطة بالتخلف والفقر الريفي، والمبادرات والبرامج والأنشطة والجهود التي تكفل اجتثاث الفقر الريفي أو الحد منه. كما يتركز الاهتمام في الوقت الحالي على دراسة وسائل أو مداخل تطبيق مفهوم التنمية الريفية المستدامة أو المتواصلة، والتي تتضمن، وفقاً لتعريف منظمة الأغذية والزراعة (FAO) " إدارة وصيانة الموارد الطبيعية وتوجيه التغيير التقني والمؤسسي بالأسلوب الذي يؤدي إلى تحقيق، وضمان استمرار، إشباع الحاجات الإنسانية للأجيال الحالية والمستقبلية، كما تتركز على أن تتصف برامج ومشروعات ومبادرات التنمية بكونها صديقة للبيئة، ومناسبة تقنياً، ومجدية اقتصادياً، ومقبولة اجتماعياً "

وفي جميع الأحوال يجتهد الباحثون في مجالات الإرشاد الزراعي والتنمية الريفية، خلال العمل البحثي، في محاولة فهم، ووصف وشرح الواقع الاجتماعي الريفي Rural Social Reality الذي يعملون في إطاره، وذلك بهدف تحسينه وتطويره والعمل باستمرار على تغييره إلى الأفضل. ورغم ذلك، ونظراً لبعض الأخطاء التي يرتكبها بعض الباحثين والممارسين، فإن الاجتهاد في محاولات الفهم والوصف والتحليل والشرح للواقع الاجتماعي الريفي، قد يؤدي في بعض الأحيان إلى تكوين صورة مشوهة وغير صحيحة عن هذا الواقع. ونظراً لأن التنبؤ والضبط يعتمدان على الفهم الصحيح للواقع الاجتماعي، لذا فإن أي برنامج أو مشروع أو تدخل تعليمي إرشادي، أو تنموي ريفي، يستند إلى صورة غير دقيقة أو وصف وشرح خاطئ للواقع الاجتماعي،

قد لا يصادفه النجاح الكافي أو قد يفشل تماماً في تحقيق أهدافه. إذ لا شك أن فهم الواقع الاجتماعي القائم يمثل الخطوة الأولى الضرورية والجوهرية لما يتلوها من خطوات تتعلق بالتنبؤ أو توقع أحداث أو مؤشرات معينة في حالة حدوث أو ظهور مؤشر محدد يمكن ملاحظته. وكما تشير أفكار المدرسة الواقعية Realism، فإن الواقع Reality، يوجد مستقلاً عن العقل الإنساني، سواء تمكن العقل الإنساني من إدراكه أو لم يتمكن. (Phil. Found. Of Agr. Ex. Ed.).

ولكي يمكن دراسة ورصد وفهم الواقع الاجتماعي يتم تطبيق الطريقة العلمية، في البحوث الاجتماعية كأفضل مدخل للتعرف الموضوعي على تفاصيل هذا الواقع. وتشمل الطريقة العلمية الخطوات المتتابعة التي يعرفها ويتبعها جميع الباحثين، والتي تبدأ بتحديد وصياغة المشكلة البحثية، ثم وضع الفروض، فجمع البيانات والشواهد والمؤشرات المرتبطة بموضوع المشكلة، ثم تحليلها والتحقق من صحة أو خطأ الفروض، فالتعميم.

ويتطلب التوصل إلى تعميمات صحيحة وسليمة، من الباحث، درجة عالية من الموضوعية والحرفية عند تنفيذ خطوات الطريقة العلمية باعتبارها جميعاً متساوية في الأهمية. كما يعتمد تطبيق الطريقة العلمية، على اختيار وتصميم واستخدام العديد من وسائل الحصول على البيانات والشواهد والمؤشرات الخاصة بالواقع الاجتماعي. ويستند اختيار وتصميم واستخدام وسائل الحصول على البيانات والشواهد والمؤشرات إلى الطريقة البحثية أو المدخل الذي يتبناه الباحث للقيام بالدراسة.

وبصفة عامة تقسم طرق البحث إلى قسمين، وهما: طرق البحث الكمية وطرق البحث الوصفية أو الكيفية Quantitative and Qualitative Research Methods. وكل قسم منهما يركز على اهتمامات معينة، حيث تهتم الطرق الكمية بالقياس الكمي او الرقمي للظواهر الاجتماعية، بالتركيز على عدد قليل نسبياً من الصفات أو المتغيرات التي تصف أعدادا كبيرة من الحالات أو المبحوثين. أما الطرق الكيفية فهي تتركزبدرجة أكبر على الشرح، وفهم معنى الظاهرة الاجتماعية من خلال استكشاف العلاقات المتبادلة بين عدد كبير من المتغيرات أو الخصائص التي تتصف بها أعداد قليلة نسبياً من الحالات المدروسة. كما أن كلاً منهما يصلح ويفيد في تحقيق أغراض أوأهداف بحثية معينة.

وتفيد الطرق الكمية في الحالات التالية:

(أ)عند توفر شواهد واضحة عن طبيعة استجابات المبحوثين،

(ب) عند وضوح الحاجة إلى بيانات كمية أو أرقام،

(ج) عندما يمكن بسهولة تحويل استجابات المبحوثين لكميات أو أرقام،

(د) عند الرغبة في وصف ظاهرة اجتماعية بالاعتماد على عدد كبير نسبياً من الشواهد الكمية، أو البيانات، أو الأرقام.

كما تكون الطرق الكيفية مفيدة في الحالات التالية:

(أ)عند غياب الشواهد أو التوقعات الواضحة عن طبيعة استجابات المبحوثين

(ب) عند الرغبة في الحصول على بيانات يصعب التعبير عنها في صورة رقمية مثل المفاهيم المتعلقة بالأفكار، والمعاني، والدوافع، والأسباب والاعتقادات.

(ج) عندما تكون الاستجابات المطلوبة غير قابلة للتحويل لكميات أو أرقام.

(د) عند الرغبة في توجيه أسئلة مفتوحة Open-ended، (أكثر منها مبنية Structured) بهدف الحصول على استجابات غير متوقعة مسبقاً.

(هـ) عند الرغبة في توجيه أسئلة متتابعة للنبش Probing لاستكشاف أسباب سلوك أو اتجاه معين، وذلك من خلال محاولة التدرج مع المبحوث من سؤال لآخر.

(و) عند الرغبة في توفير بيانات ونتائج ذات طبيعة وصفية أو تسمح بمزيد من الشرح للظاهرة الاجتماعية موضوع الدراسة، من عدد قليل نسبياً من المبحوثين.

ورغم الفوائد الواضحة لكل من الطرق الكمية والطرق الوصفية إلا أنه لا ينصح دائما بالاعتماد على طريقة واحدة فقط. إذ تتميز كل طريقة ببعض نقاط القوة كما تعاني في ذات الوقت من عديد من نقاط الضعف. وفيما يلي نعرض لأهم نقاط القوة ونقاط الضعف في الطرق الكمية والطرق الوصفية.

نقاط القوة في الطرق الكمية:

- إمكانية اختبار، والتحقق من صدق النظريات الاجتماعية التي تشرح الأسباب والكيفية التي تحدث بها الظواهر الاجتماعية،
- إمكانية اختبار الفروض التي يتم وضعها قبل جمع البيانات،
- إمكانية تعميم النتائج التي حصلنا عليها من عينات عشوائية بشرط سلامة إجراءات سحب العينة وكفاية حجم العينة،
- الحصول على بيانات تمكن من التوصل إلى تنبؤات أو توقعات كمية،
- يمكن جمع البيانات بطرق سريعة نسبياً، مثل الاستبيان البريدي أو باستخدام التليفون،
- توفير بيانات رقمية / كمية دقيقة إلى حد كبير،

- يمكن تحليل البيانات الكمية بسرعة كبيرة نسبياً باستخدام برامج التحليل الإحصائي في الحاسب الآلي (مثل SPSS)،
- توفر بيانات ونتائج تتصف بالمصداقية العالية وخاصة للأفراد الذين يحتلون مراكز القوة (الإداريون، والمشرفون، والسياسيون، وصناع القرار، والرؤساء، والجهات والمؤسسات المانحة التي تمول مشروعات وبحوث الإرشاد والتنمية الريفية)،
- مفيدة عند الحاجة إلى استكشاف الظواهر الاجتماعية بين أعداد كبيرة من الأفراد.

نقاط الضعف في الطرق الكمية:

- قد لا تعبر الفئات المبحوثة عن الواقع الاجتماعي للظاهرة موضع الدراسة،
- قد لا تتمشى النظرية الاجتماعية التي يتبناها البحث مع الواقع الاجتماعي المحلي،
- احتمال وقوع الباحث في خطأ التحيز في اتجاه محاولة إثبات الفرض الذي وضعه Confirmation Bias ، وذلك بدلاً من محاولة التحقق من الفروض والتحقق من صدق النظرية التي تبناها أو محاولة بناء نظرية جديدة،
- قد تتوصل الدراسة لتعميمات على درجة عالية من التجريد والعمومية بحيث لا تصلح للتطبيق أو الاستفادة منها في مناطق محلية معينة أو مع فئات محددة.

نقاط القوة في الطرق الوصفية:

- تعتمد البيانات (كما في طريقة الملاحظة) على الفئات ومعنى كل فئة، يتعامل معها الباحث،
- مفيدة للدراسة المتعمقة لعدد قليل من الحالات أو الأفراد المبحوثين،
- تفيد في توفير شرح كافي للظواهر المعقدة أو المركبة،
- تفيد في إجراء تحليل مقارن لحالات مختلفة من فئات أو أماكن متعددة،
- توفر شرحا وافياً لخبرات الأفراد في مجال الظاهرة المدروسة،
- توفر معلومات وافية عن حالة وحيدة أو متفردة،
- تفيد في توفير وصف وشرح كافي للخبرات الفردية، ووجهات نظر أو مفاهيم الأفراد فيما يتعلق بظاهرة معينة (كما هو الحال في توضيح المعاني، والأسباب، والكيفية)،
- تفيد في توفير معلومات تفصيلية عن ظواهر تحدث في إطار مواقف محلية معينة ويمكن للباحثين الاستجابة لأي تغيرات تحدث في الواقع الاجتماعي المحلي خلال الدراسة،

- يمكن استخدام نتائج دراسة حالة محددة لتوضيح وعرض مفاهيم ووجهات نظر اجتماعية معينة،

نقاط الضعف في الطرق الوصفية:

- قد لا يكون الوصف، وحده، كافياً للتعبير الدقيق عن البيانات والنتائج (أوصاف مثل: منخفض أو قليل / متوسط / مرتفع أو كبير، ليست دقيقة، وقد تحمل دلالات أو معاني مختلفة لدى الأشخاص المختلفين)،
- قد تكون الحالة المدروسة متفردة إلى درجة يصعب معها تعميم النتائج،
- يصعب ، بناء على النتائج، توقع تغيرات كمية معينة،
- صعوبة اختبار الفروض والنظريات التي تغطي عدداً كبيراً من الحالات،
- ضعف مصداقية النتائج من دراسة حالة واحدة، أو عدداً قليلاً من الحالات، خاصة من وجهة نظر المديرين والمسئولين عن برامج الإرشاد الزراعي والتنمية الريفية،
- قد تحتاج وقتاً أطول لجمع البيانات، بالمقارنة بالطرق الكمية،
- يحتاج تحليل البيانات، في أغلب الحالات، لوقت طويل،
- قد تتأثر النتائج بخصائص وقدرات الباحث، واحتمالات التحيز الشخصي.

ويمكن المزج بين الأساليب المختلفة، التي تندرج تحت هذين القسمين، فيما يطلق عليه نموذج البحث المختلط Mixed Research Paradigm، والذي ينظر إليه كحل وسط للجدل الدائر بين الطرق الكمية والطرق الوصفية، أو ما يسمى أحياناً بحروب النماذج 'Paradigms Wars . واستخدام الخليط المناسب من الطرق البحثية الكمية والكيفية يمكن الباحث من الاستفادة من خاصية أو ميزة التدقيق الثلاثي 'Triangulation' للنتائج التي حصل عليها، وتقديم صورة أكثر صدقاً للواقع الاجتماعي. ويمثل هذا المزج تطبيقاً عملياً لمفهوم الانتقاء القائم على التنوع Eclecticism. ويرجع أصل هذا المفهوم إلى كلمة EKLEKTIKOS باللغة اليونانية والتي تعني " اختياري Selective ". ويعرف قاموس Collins هذا المفهوم بأنه: " أي مدخل للبحث والتحليل يخلط بين رؤى نظرية مختلفة، أو يشتق الأفكار من مصادر متعددة، أو أنه يعبر عن فلسفة وفن اختيار معتقدات الفرد من مصادر عديدة مع عدم الارتباط بمدرسة فلسفية محددة". ويؤكد قاموس Oxford هذه المعاني. ويقدم تطبيق هذا المفهوم في العلوم الاجتماعية العديد من الحلول فهو، مثلاً، مدخل يركز على استخدام طرق بحثية مختلطة وذلك استجابة للمحددات التي تترتب على استخدام طريقة بحثية محددة (كمية أو وصفية). وهو يعتبر مدخلاً بديلاً للطرق البحثية التقليدية. وتدعم الفلسفة البراجماتية استخدام هذا المدخل، والذي يتضمن طرقاً بحثية متنوعة،

بواسطة الباحثين في العلوم الاجتماعية، لكي يتمكنوا من الإجابة على أسئلة بحثية لا يمكن، أو يصعب، الإجابة عنها باستخدام طريقة بحثية منفردة. فهو مدخل ديناميكي يمكن الاعتماد عليه لتسهيل التعامل مع المشاكل البحثية المعقدة، ذات الأبعاد المتعددة، (مثل مشكلة الفقر الريفي، أو مشكلة رفض المزارعين تبني تقنية جديدة مفيدة لهم). وهناك اهتمام متزايد، في الوقت الحالي، بفكرة تشجيع الباحثين على تطبيق هذا المدخل من خلال إجراء البحوث متعددة النظم Multi-Disciplinary or Cross-Disciplines Research . وقد أصبحت هذه التعددية أحد اعتبارات التفضيل عند تحديد أولويات تمويل مشروعات البحوث، بل أنها تعتبر، في بعض الأحيان، شرطاً مهماً للتمويل، تحدده بعض المؤسسات التي تدعم إجراء البحوث التطبيقية.

كما يرتبط معنى مفهوم الانتقاء القائم على التنوع Eclecticism بمعاني مرادفات أخرى مثل: المرونة Flexibility ، والتباين والتنوع Diversification / variability ، والاختيارية أو الانتقائية Selectivity ، وإعادة التركيب Recombination ، وإعادة الخلط أو إعادة المزج Remixing. ويمكن القول بأننا جميعاً نمارس هذا الانتقاء القائم على التنوع في حياتنا العادية، في سلوكنا اليومي لإشباع الحاجات المختلفة. تخيل مثلاً أنك جائع جداً قبيل الغروب، في يوم شديد الحرارة، وفكر بعمق في السلوك الذي قد تقوم به لإشباع دافع الجوع (حاجة فسيولوجية)، بتناول الطعام في مطعم هادئ مكيف الهواء (إشباع الحاجة إلى الأمان)، من خلال دعوة من تحب "زوج (ة)، صديق (ة)، أخ / أخت " (إشباع الحاجة إلى الانتماء والحب)، ثم قيامك بدفع فاتورة المطعم للجميع والتي قد تكون باهظة نسبياً (الحاجة إلى إثبات وتأكيد الذات، من خلال تقدير واحترام الآخرين لك).

ومن أمثلة المزج بين الطرق الكمية والطرق الوصفية(Wikipedia, the Free Encyclopedia):

(١) استخدام الطرق الوصفية لتطوير أدوات بحثية كمية، مثل استخدام الجماعات البؤرية Focus Groups لاستكشاف قضية معينة مع عدد صغير من الأفراد، والاعتماد على البيانات الناتجة في تطوير استبيان كمي مسحي Quantitative Survey Questionnaire يستخدم على نطاق واسع مع أعداد كبيرة من المبحوثين، لكي يمكن تعميم النتائج،

(٢) يمكن استخدام الطرق الوصفية لاستكشاف، وتسهيل تفسير العلاقات بين المتغيرات والتي توصلنا إليها من طرق بحثية كمية . فقد يفترض الباحث وجود علاقة معنوية وموجبة بين اتجاهات المرشدين الزراعيين الإيجابية نحو تقديم الخدمات الإرشادية للمنتجين الزراعيين في

منطقة معينة، وحجم الطلب على هذه الخدمات. ورغم أن الفرض يمثل علاقة منطقية ومتوقعة إلا أن النتائج التي تم استخلاصها من دراسة مسحية كمية أظهرت أن العلاقة معنوية ولكنها سالبة. في هذه الحالة يمكن إجراء ملاحظة بالاشتراك (طريقة وصفية) لعدد قليل من المرشدين أثناء عملهم، ومنه يتبين أن العلاقة السالبة لم تكن بسبب اتجاهات سلبية من المرشدين إنما كانت بسبب تحمل المرشدين لعبء كبير في العمل قد يصعب معه التعبير بطرق مناسبة عن اتجاهاتهم الإيجابية نحو خدمة المنتجين.

وعند المزج بين الطرق الكمية والطرق الوصفية فلا بد من مراعاة نقاط القوة ونقاط الضعف في كليهما، والتي أشرنا إليها فيما سبق، بحيث تكون القاعدة الأساسية هي الاستفادة من نقاط القوة في إحدى هذه الطرق لتعويض القصور أو العيوب أو المحددات في طريقة أخرى. وفيما يلي عرضاً مختصراً لأهم نقاط القوة ونقاط الضعف في البحوث المختلطة.

نقاط القوة في البحوث المختلطة:

- تضيف الكلمات والصور المزيد من المعنى للأرقام، كما أن الأرقام تضيف المزيد من المعنى للكلمات والصور،
- نظراً لأن الباحث لا يتقيد بطريقة واحدة فقط، لذا يمكنه الإجابة على العديد من الأسئلة البحثية المتكاملة، وبالتالي اختبار مدى واسع من الفروض البحثية،
- تجميع المزايا التي تتفرد بها طرق البحث الكمية والوصفية بحيث تستبعد نقاط الضعف في كليهما عند إجراء البحث، بمعنى استخدام نقاط القوة في أحدهما لتعويض نقاط الضعف في الأخرى،
- توفير تأييد وتعزيز وبراهين إضافية (Corroboration)، على صحة نتائج الدراسة، عند التوصل لنفس النتيجة من خليط من طرق بحثية مختلفة (كمية ووصفية)،
- تمكن الباحث من التوصل لمزيد من الفهم والبصيرة النافذة للظاهرة الاجتماعية محل الدراسة،
- تزيد من قدرة الباحث على تعميم النتائج التي توصل إليها في دراسته،
- تساهم في توفير معرفة أكثر تكاملاً بما يخدم الجوانب العلمية النظرية بالإضافة للجوانب التطبيقية.

نقاط الضعف في البحوث المختلطة:

- القدرة الفنية أو الحرفية، لاستخدام طرق بحثية مختلطة، قد لا تتوفر لدى العديد من الباحثين،

- يفتقر العديد من الباحثين إلى التدريب الكافي لتمكينهم من اختيار المزيج المناسب من الطرق المتعددة المستخدمة داخل كلا المدخلين الكمي والوصفي،
- يعتقد بعض الباحثين بأهمية الالتزام بمدخل بحثي واحد، إما الكمي أو الوصفي، ويرون بعدم جواز أو إمكانية الجمع بين المدخلين، وقد يعتبرون استخدام خليط منهما نوعاً من عدم الانتماء لأحدهما،
- تحتاج لمزيد من الوقت كما أنها أكثر تكلفة،
- عند التوصل لبيانات وصفية وكمية، من نفس الدراسة، التي تجرى باستخدام طرق مختلطة، قد يصعب التوصل لتفسير كمي للبيانات الوصفية، كما قد يصعب التوصل لتفسير كيفي للبيانات الكمية وصفية،
- قد يصعب تفسير أو حل التناقض أو التعارض بين نتائج نفس الدراسة، التي تستخدم المدخل المختلط، والتي يتم التوصل إليها من بيانات وصفية وكمية،

وهناك العديد من المجالات والحالات التي يمكن من خلالها الاستفادة من تطبيق مفهوم الانتقاء القائم على التنوع Eclecticism. وفيما يلي بعض الأمثلة لمصادر ومجالات الانتقاء القائم على التنوع:

أولاً: عند اختيار المشكلة البحثية: يفضل انتقاء واختيار المشاكل البحثية التي تستند لمصادر متنوعة، بحيث يؤكد عليها أكثر من مصدر واحد. إذ تتعدد مصادر الأفكار والقضايا التي تصلح كمشاكل بحثية، ومن أهمها:

(أ) خبرة الباحث: وخاصة بالنسبة للباحث الخبير الذي قام بالعديد من الدراسات في السابق، ويمكنه تحديد النقاط أو المجالات التي تمثل فجوات معرفية، كما تشكل أسئلة تحتاج إلى الإجابة من خلال إجراء دراسة علمية،

(ب) المشاكل الميدانية: التي تواجه الممارسين في مجال التطبيق، مثل التحديات أو المصاعب التي تواجه العاملين في الإرشاد الزراعي أو الريفي، والتنمية الريفية، سواء في التعامل مع الفئات المستهدفة أو في استخدام المداخل المختلفة للمساعدة في تغيير سلوك الريفيين ليكون سلوكاً صديقاً للبيئة، أو كيفية مساعدتهم على إنشاء جماعات أو روابط للإنتاج أو التسويق الزراعي أو لتنظيم الاستغلال الحكيم للموارد الطبيعية المشتركة كموارد المياه،...الخ. ويمكن للباحثين التعرف على هذه المشاكل ومحاولة التوصل لحلول علمية لها من خلال إجراء البحوث العلمية،

(ت) البحوث والدراسات السابقة: فكما ذكرنا سابقاً ، يتصف البحث العلمي بأنه لا يتوقف ولا ينتهي أبداً. فمحاولة الإجابة على أسئلة بحثية معينة تنتهي بالتوصل لإجابات خاصة ببعض الأسئلة، وتبقى أسئلة أخرى دون إجابة كافية، كما تبدأ البحوث الاجتماعية ببعض الأسئلة، وتنتهي أيضاً بإثارة تساؤلات أخرى. وتحتاج كل هذه التساؤلات إلى إجراء المزيد من البحث العلمي. وفي كثير من البحوث الاجتماعية تتضمن الخلاصة والتوصيات إشارة للنقاط والقضايا والمشاكل البحثية التي تحتاج لمزيد من البحث العلمي،

(ث) النظريات والنماذج: والتي توصل إليها العلماء والباحثون الآخرون على المستوى العالمي أو الإقليمي أو المحلي، والواردة في المراجع المختلفة. فيمكن مثلا إجراء مجموعة دراسات لاختبار منحنى التبني وهل يأخذ شكل حرف S ؟ أو اختبار نموذج تدفق الاتصال على خطوتين Two Steps Flow of Communication ، أو اختبار المداخل المختلفة لتحديد القادة المؤثرين في المجتمعات الريفية المحلية،.....الخ.

ثانياً: عند إعداد الإطار النظري (الاستعراض المرجعي): يجب على الباحث الاعتماد على مجموعة مختارة بعناية من المراجع والكتابات والدراسات التي أجريت في مجال المشكلة أو القضية موضع الدراسة. ويتضمن ذلك حصر، وجمع، وتلخيص، وإعادة صياغة التراث السابق في مجال المشكلة البحثية. ويمكن تمثيل كل نتيجة أو فكرة أو رأي، ناتج من تراث علمي سابق، بالخيط، وعلى الباحث بعد تجميع الخيوط من المصادر المختلفة أن يعيد تجميعها لتمثل نسيجا جديداً يساعد الباحث على معرفة موقعه من كل ما سبق من دراسات وبحوث علمية في مجال المشكلة البحثية، كما يساعده على أن " يبدأ من حيث انتهى الآخرون". والباحث يضمن، بذلك، تجنب استكشاف مشكلة أو قضية قتلت بحثاً، من ناحية، ويساهم، من ناحية أخرى، في زيادة التراكم المعرفي بإضافة معرفة منظمة جديدة لما هو موجود فعلاً من تراث معرفي.

ثالثاً: عند تصميم البحث: يمكن المزج بين مدخلين مختلفين للتفكير والبحث العلمي، وهما يقعان تحت منهج التفكير أو الاستدلال الاستنتاجي Reasoning، والمدخل الأول يكون من خلال الاستقراء Inductive Reasoning، أو البحث الاستقرائي Inductive Inquiry وفيه نبدأ بالملاحظة Observation للشواهد والخبرات التي توجد في الواقع الاجتماعي ثم نحاول التوصل إلى النمط Pattern وبعد ذلك يمكننا أن نتوصل إلى تعميمات Generalizations أو التوصل لنظريات. والمدخل الثاني وهو الاستنباط Deductive Reasoning ،أو البحث

الاستنباطى Deductive Inquiry، وفيه نبدأ بالنظرية أو التعميمات ونشتق منها فروضاً نحاول أن نتحقق من صحتها من خلال جمع الشواهد والملاحظات (البيانات) ثم نتحقق من صحة أو خطأ الفروض التي توقعناها ثم نتوصل لتعميمات مرة أخرى، قد تؤكد النظرية أو تخالفها.

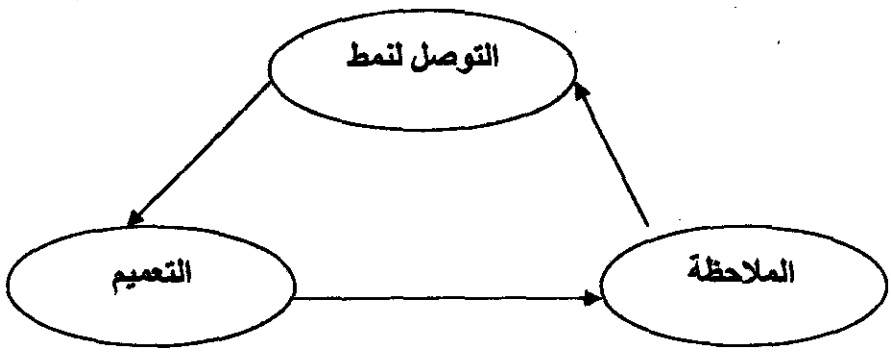

وعند جمع البيانات أو الملاحظة وجمع الشواهد، التي ترتبط بالظاهرة الاجتماعية، يمكن للباحث اختيار المدخل الكمي، أو المدخل الوصفي، أو خليطاً منهما، وهذا هو الأفضل. ويلاحظ أن أغلب البحوث التي تجرى في مجال الإرشاد الزراعي والتنمية الريفية تعتمد على استخدام طريقة المسح الاجتماعي باستخدام الاستبيان. أما استخدام الطرق البحثية الوصفية أو التجريبية فهي قليلة إلى حد كبير. وهنا يجدر الإشارة إلى أهمية قيام الباحثين باستخدام طرق مختلطة تستفيد من، وتجمع المزايا التي تتوفر للطرق الكمية والطرق الوصفية بما يحقق التكامل بينهما. فالاعتماد المفرط على على استخدام المسح الاجتماعي، بالاستبيان، كأداة لجمع البيانات والشواهد، عن الواقع الاجتماعي، يعاني من العديد من التحديات والمشاكل التي تؤدي في النهاية إلى الحصول على بيانات غير دقيقة تشوه إدراكنا للواقع الاجتماعى بما يؤدي إلى العجز الواضح عن التأثير الإيجابي بتغيير هذا الواقع نحو الأفضل.

رابعاً: عند اختيار عينة البحث،وتصميم أدوات جمع البيانات: تعتمد أغلب الدراسات والبحوث في مجال الإرشاد الزراعي والتنمية الريفية على الاستبيان كأداة وحيدة لجمع البيانات من أعداد كبيرة نسبياً من المبحوثين، يتم اختيارهم وفقاً لمعايير معينة. ورغم أن جمع البيانات هو أحد أهم مراحل تطبيق الطريقة العلمية (في البحث العلمي)، إلا أن العديد من التحديات والمصاعب تواجه هذه المرحلة، وتهدد بما يسمى GIGO Syndrome، والتي تعني مشكلة يقع فيها بعض الباحثين عندما يقومون، عن غير قصد غالباً، بإدخال بيانات غير جيدة أو رديئة،

والتوصل بالتالي إلى نتائج رديئة (Garbage In Garbage Out)، وتتمثل أهم هذه التحديات فيما يلي:

(أ) اختيار الحجم المناسب للعينة من الشاملة: حيث تعاني البحوث الاجتماعية من الحجم غير المناسب، والذي لا يمثل الشاملة تمثيلاً صادقاً،

(ب) إجراءات اختيار العينة العشوائية، بما يضمن عشوائية هذا الاختيار، وبما يضمن أيضاً أن كل فرد من أفراد الشاملة أتيحت له فرصة متساوية للظهور في العينة. وبعض الباحثين لا يراعون الدقة الكافية في اتباع هذه الإجراءات. بحيث تتحول هذه الإجراءات إلى عدد قليل من الكلمات أو السطور محفوظة تكتب في الكثير من الدراسات، منقولة من الدراسات السابقة، دون أن تتبع فعلياً.

(ت) استخدام الاستبيان كأداة وحيدة لجمع البيانات، في أغلب الدراسات، وذلك رغم المشاكل العديدة التي تواجه هذا الأسلوب. وعلى سبيل المثال، وليس الحصر، تعاني كثير من الاستبيانات من المشاكل التالية:

(١) عدم وضوح المفاهيم الواردة في الاستبيان في ذهن الباحث، فإن كان يرغب في قياس معلومات المبحوث عن قضية معينة ونراجع مقياس المعلومات الذي وضعه في الاستبيان نكتشف أنه يقيس الرأي وليس المعلومات،

(٢) الأسئلة المبنية Structured Questions، ذات الاستجابات المحددة سلفاً، لا يتوفر بها الشرطين اللازمين والضروريين لهذا النوع من الأسئلة، وهما: Exhausitiveness and Mutual Exclusiveness،

(٣) بعض الأسئلة تكون موحية بإجابات معينة Leading Questions يرغب الباحث في الحصول عليها أو تأكيدها، بما يؤكد تحيز الباحث لإثبات وجهة نظر أو رأي معين Confirmtory Researcher's Bias ،

(٤) بعض الأسئلة تكون محملة بمشاعر أو انفعالات إيجابية أو سلبية بما يؤدي بالمبحوث إلى إعطاء الاستجابة التي يريدها ويتوقعها الباحث،

(٥) صياغة بعض الأسئلة بطريقة غامضة وغير واضحة، تجعل المبحوث يسأل بدلاً من أن يجيب(ماذا تقصد؟ أو ماذا تعني؟)، مثل السؤال: "هل أنت قائد في مجتمعك المحلي ؟ أو: من هم القادة في المجتمع المحلي؟ - أو: هل تسكن في شقة واسعة؟"،

(٦) عدم ارتباط بعض الأسئلة بأهداف البحث، ولذلك يفضل دائما إعداد خريطة Mapping بالأهداف البحثية وبيان الأسئلة التي تجيب عن، أو تحقق كل هدف منها.

(٧) استخدام لغة بعيدة عن الثقافة المحلية وتختلف عن الألفاظ الشائعة في هذه الثقافة،
(٨) الإفراط في طول الأسئلة بحيث ينسى المبحوث أول السؤال عندما يسمع نهايته فيضطر للاستفسار، والاستفهام، أو الرد السريع بالإجابة التي يعتقد أنها سوف تكون مرضية للباحث،
(٩) السؤال عن موضوعين في سؤال واحد، ويطلب من المبحوث الرد بنعم أو لا – مثل: هل تحصل على المعلومات من الراديو والتليفزيون؟،
(١٠) صياغة السؤال بنفي النفي مما يصعب معه فهم السؤال وبالتالي صعوبة الإجابة عليه، مثل: هل أنت غير موافق على عدم دعم الحكومة لأسعار الأسمدة ؟.

ومن أمثلة الأسئلة التي تقدم مثالاً صارخاً لعدم البساطة والتعقيد والغموض، وتتضمن، بالتالي، العديد من العيوب السابقة، السؤال الذي عرضه (Neuman, 2000) ، في هذا السياق، ونصه(بعد الترجمة إلى اللغة العربية):

" أعتقد أن الحياة هي نضال وكفاح دائم من أجل تحقيق التوازن، والذي يتطلب انتقالاً متكرراً بين الأخلاق والضرورة، نحاول من خلاله التحايل على سلسلة من الذكريات المرة / الحلوة، حتى القدر المحتوم وهو الموت".

هل أنت ؟ موافق ( ) غير موافق ( ).

خامساً: عند صياغة أسئلة الاستبيان: يفضل المزج بين الأسئلة المغلقة أو ذات الاستجابات المحددة Structured Questions والأسئلة المفتوحة Open-Ended Questions، وعدم الاقتصار على أحد هذين النوعين فقط، وذلك بما يخدم ويحقق أهداف البحث في الحصول على بيانات سليمة من ناحية، وكافية من ناحية أخرى. فلكل نوع من هذه الأسئلة العديد من المزايا، كما أنه لا يخلو أيضاً من العيوب. ويراعى الاستفادة بمزايا كل نوع من الأسئلة لتعويض المحددات في النوع الآخر. وعلى الباحث أن يضع في اعتباره الحرص على جودة، وصدق، وكفاية البيانات التي يجمعها لتحقيق أهداف البحث. وقد استعرض (Neuman, 2000) هذه المزايا والعيوب كما يلي:

مزايا الأسئلة المغلقة أو ذات الاستجابات المحددة:

- سهولة جمع البيانات،
- سهولة معالجة البيانات،
- سهولة تحليل البيانات،
- توضيح معنى السؤال للمبحوث من خلال معرفة الاستجابات المختلفة له،

- يمكن للمبحوثين القادرين على القراءة والكتابة، ولكنهم لم يحصلوا على تعليم كاف، الإجابة على السؤال، محددات أو عيوب الأسئلة المغلقة أو ذات الاستجابات المحددة:
- قد تقترح الاستجابات الواردة بعد السؤال العديد من الأفكار التي لا تتوفر لدى المبحوث،
- يمكن لجميع المبحوثين الإجابة على السؤال حتى وإن لم تتوفر لديهم معرفة كافية أو رأي عن القضية موضع السؤال،
- قد يشعر المبحوث بالإحباط لأن الإجابة أو الرأي الذي يرغب فيه لا يوجد في استجابات السؤال،
- قد يشعر المبحوث بالحيرة عندما يكون عدد الاستجابات أو الاختيارات كبيراً،
- إذا أجاب المبحوث عن السؤال دون الفهم الواضح لمعناه فلن يشعر أحد بذلك،
- في كثير من الأحيان يكون المبحوث مضطراً لاختيار إجابة بسيطة لسؤال على درجة كبيرة من التعقيد،
- قد يضع بعض المبحوثين، أو يختارون، استجابة لا يقومون بها في حياتهم العملية، أو يعبرون عن رأي لا يعتقدون به فعلاً.

مزايا الأسئلة المفتوحة:

- تسمح بظهور إجابات أو استجابات لا عدد ولا حدود لها،
- تسمح للمبحوث بالإجابة والتعبير عن الرأي بالتفصيل كما يمكن للمبحوث توضيح رأيه بدرجة كبيرة،
- توفر الفرصة لاكتشاف إجابات وأراء غير متوقعة عن الواقع الاجتماعي ،
- تسمح للمبحوث بالإدلاء بإجابات كافية، وأراء تفصيلية، عن القضايا المعقدة،
- توفر الفرصة للمبحوث للتعبير عن الذات وتوضيح الرأي بطريقة إبداعية وخلاقة،
- توفر الفرصة لاستكشاف منطق المبحوث، وكيف يفكر، والإطار المرجعي له.

محددات أو عيوب الأسئلة المفتوحة:

- احتمال وجود اختلافات شديدة نسبياً بين استجابات المبحوثين،
- بعض الاستجابات لا تكون مفيدة أو غارقة، أو مدفونة في تفاصيل كثيرة جداً ولا فائدة منها،

- صعوبة التحليل الإحصائي للنتائج، وكذلك صعوبة إجراء التحليل المقارن،
- صعوبة معالجة النتائج، وخاصة فيما يتعلق بترميز الإجابات،
- المبحوث ذو التعليم المحدود قد يعاني بشدة من هذه الأسئلة،
- قد يكون السؤال عاماً جداً بحيث يصعب الإجابة عليه،
- قد يصعب على القائم بالمقابلة تسجيل وكتابة الإجابات الشفوية،
- تتطلب من المبحوث الكثير من الوقت والجهد والتفكير لكي يتمكن من الإجابة عليها،
- تحتاج لمساحة كبيرة، وعدد كبير من الأوراق.

الخلاصة

تتركز أهمية تطبيق مفهوم الانتقاء القائم على التنوع Eclecticism، في بحوث الإرشاد الزراعي وبحوث التنمية الريفية، في تمكين الباحثين من إجراء البحوث والدراسات العلمية باتباع المدخل أو الطريقة التي تجمع وتمزج بين رؤى نظرية مختلفة، وتشتق الأفكار من مصادر متعددة. ويعني ذلك أن يقوم الباحث، عن فهم ووعي كاملين، بتطبيق مدخل يركز على استخدام طرق بحثية مختلطة وذلك استجابة للمحددات التي تترتب على استخدام طريقة بحثية محددة (كمية أو وصفية). ويفيد تطبيق هذا المفهوم أيضاً عند التعامل مع المشاكل البحثية المركبة، ذات الأبعاد المتعددة (الاقتصادي، والاجتماعي- الثقافي، والتكنولوجي). كما يساهم في تشجيع الباحثين على العمل الفريقي البحثي متعدد النظم.

ومن الناحية العملية يمكن تطبيق هذا المفهوم من خلال مراعاة الاعتبارات التالية:

<u>أولاً: عند اختيار المشكلة البحثية</u>: يفضل انتقاء واختيار المشاكل البحثية التي تستند لمصادر متنوعة، بحيث يؤكد عليها أكثر من مصدر من المصادر التالية: خبرة الباحث، والمشاكل الميدانية التي تواجه الممارسين في مجال التطبيق، والبحوث والدراسات السابقة والتي تنتهي بإثارة تساؤلات بحثية إضافية تحتاج إلى المزيد من البحث العلمي، والنظريات والنماذج والتي تتضمن من الفروض البحثية التي تحتاج إلى إعادة اختبارها في أطر اجتماعية مختلفة للتأكد من صحتها.

<u>ثانياً: عند إعداد الإطار النظري (الاستعراض المرجعي)</u>: يجب على الباحث الاعتماد على مجموعة مختارة بعناية من المراجع والكتابات والدراسات التي أجريت في مجال المشكلة أو القضية موضع الدراسة. والاستعراض المرجعي الجيد يساعد الباحث على معرفة موقعه من التاريخ، والتراث البحثي السابق، كما يمكنه من أن " يبدأ من حيث انتهى الآخرون".

ثالثاً: عند تصميم البحث: يفضل الاعتماد على منهج التفكير أو الاستدلال الاستنتاجي Reasoning، من خلال المزج بين مدخل الاستقراء Inductive Reasoning، أو البحث الاستقرائي Inductive Inquiry ، ومدخل الاستنباط Deductive Reasoning ،أو البحث الاستنباطي Deductive Inquiry.

رابعاً: عند اختيار عينة البحث: يراعى اختيار الحجم المناسب للعينة التي تمثل الشاملة بأفضل طريقة ممكنة لكي يتمكن الباحث من تعميم النتائج التي توصل إليها على شاملة البحث. كما يجب مراعاة اتباع إجراءات سليمة لسحب العينة، خاصة العينة العشوائية. وفي هذه الحالات يمكن للباحث استشارة الباحثين الأكثر خبرة منه أو طلب مراجعة وتدقيق الزملاء (Peer Review).

خامساً: عند اختيار، وتصميم طرق جمع البيانات: نظراً لعدم وجود طريقة واحدة تصلح لجمع البيانات الخاصلة بكافة الأسئلة والمشاكل البحثية، إضافة إلى حقيقة أن لكل طريقة مميزات ومحددات معينة، لذا ينصح دائماً بتفضيل المزج بين الطرق المختلفة وعدم الإفراط في استخدام طريقة واحدة، وخاصة الاستبيان، كأداة وحيدة لجمع البيانات في بحوث الإرشاد الزراعي والتنمية الريفية.

وعند صياغة أسئلة الاستبيان يفضل المزج بين الأسئلة المغلقة أو ذات الاستجابات المحددة Structured Questions والأسئلة المفتوحة Open-Ended Questions، وعدم الاقتصار على أحد هذين النوعين فقط.

المراجع:

1. Jary, David and Julia Jary,(Editors), "Collins internet-linked dictionary of sociology ", Harper Collins Publishers, 3rd Edition, (2000).
2. Neuman, W.L., " Social Research Methods, Qualitative and Quantitative Approaches", Allyn and Bacon, Fourth Edition, (2000).
3. Oxford English Reference Dictionary , Oxford University Press, (2003).
4. Social research, Wikipedia, the Free Encyclopedia.